مظاهر مجتمعي الغرب والشرق في اللوحات الفيكتورية في إنجلترا ولوحات المستشرقين في القرن١٩ (دراسة مقارنة)

The manifestations of West and East Societies in Victorian Paintings in England and Orientalist Paintings in the mid-19th cent (a comparative study)

م.د.نهاد محمد صادق

مدرس بقسم الدراسات الأكاديمية - كلية الفنون التطبيقية - جامعة بدر

Dr. Nihad Mohamed Sadek

Lecturer in Academic Studies Department, faculty of Applied Arts, Badr University

nihadsadek@hotmail.com

الملخص:

تعتبر لوحات الفترة الفيكتورية في إنجلترا ولوحات الإستشراق نوع من أنواع الرصد التاريخي والتوثيقي للتفاصيل المهمة للحياة الاجتماعية والسياسية لكل من بريطانيا و كذلك عدة بلدان ومدن عربية من خلال تحليل اللوحات الفيكتورية و لوحات المستشرقين حتى وإن كان رصد الدول العربية لأسباب ودوافع مختلفة ومتعددة ، فقد كانت اللوحات بمثابة الكاميرا الفوتوغرافية التي حددت تاريخ الأزياء بطبقات المجتمع المختلفة وأدوار الأفراد وشكل العمارة والأثاث والمناظر الطبيعية لكلٍ المجتمعين حتى العادات والوظائف الهامة و وسائل الترفيه لديهم. كما انتمت كل من الأساليب الفنية والتشكيلية إلى النزعة الرومانسية بحكم وقوع الاتجاهين في نفس الحقبة الزمانية ونفس الأهداف الفنية والتشكيلية لهذه الفترة ، بل وفي كثير من الأحيان نفس الفنانين الذين ينتمون للفترة الفيكتورية إنتموا لقائمة المستشرقين.

ومن خلال التحليل والدراسة للوحات يمكن مقارنة بين مظاهرالمجتمعين اعتباراً أن إنجلترا القوة العظمى آنذاك والمصدرة للثقافة الغربية ومنبعاً للاتجاهات والأفكار الحديثة ، وعلى غرار إنجلترا في التاريخ والتأثير الثقافي الأوروبي فإن مصر أيضًا هي محور الحياة الثقافية والسياسية في العالم العربي التي حظيت بنصيبٍ كبيرٍ من الدراسات الاستكشافية لعالم الشرق من قبل المستشرقين.

الكلمات المفتاحية

الفن الفيكتوري ، المستشرقين ، الاستشراق ، لوحات المستشرقين

Abstract:

The paintings of the Victorian era in England and the paintings of Orientalism are regarded as a kind of historical and documentary monitoring of the significant details of each Britain's social and significant life through analysis of Victorian paintings, as well as several Arab countries and cities through analysis of Orientalist paintings, even though the monitoring of Arab countries is for various and varied reasons and motives. The paintings served as a visual record of the customs, significant occupations, and modes of entertainment of both cultures, as well as the characteristics of fashion in the various social classes, the roles of persons, the forms of buildings, furniture, and landscapes for both societies. By virtue of the two schools' shared historical context and aesthetic objectives, as well as the fact that many of the same Victorian school artists also belonged to the list of orientalists, each artistic style also belonged to the romantic school.

Given that England was the most extensive empire at the time, the exporter of Western culture, and a source of contemporary trends and ideas, and similarly to England in European history and cultural influence, Egypt is also the focus of cultural and political life in the Arab world, which has received a significant amount of studies and orientalists' exploration of the oriental world, it is possible to compare the manifestations of the two societies through the analysis and study of the paintings.

Keywords
Victorian Art،Orientalists،Orientalism،Orientalist paintings

المقدمة:
مصطلح " فيكتوري " هو قيد الاستخدام المعاصر لوصف العصر والذي تشير لوحاته إلى أساليب مميزة في التصوير في إنجلترا في عهد الملكة فيكتوريا والذي إستمر ٦٤ سنة (١٨٣٧- ١٩٠١م) الوقت الذي كانت إنجلترا واحدة من أقوى الدول وأكثرها تقدمًا في العالم ، حيث شهد هذا العصر - عصر الثورة الصناعية - كم هائل من الإبتكارات التكنولوجية التي كانت هي مفتاح قوة بريطانيا وازدهارها وجعلها دولة عظمى خالية من الحروب، تميزت بزيادة الدخل القومي للفرد و مشاركة المرأة في مجالات العمل المختلفة وقد تساوت مع الرجل في الدخل، وأيضا تميز العصر بالتطور الكبير في كل من السياسة والثقافة والإقتصاد، حيث توسعت التجارة والصناعة بسرعة كبيرة، بالإضافة إلى تطور العلم والتكنولوجيا.

أما عن حركة المستشرقين فهي أحد الظواهر المعرفية التي قامت خلال منتصف القرن ١٩ و التي إهتمت بالدراسات الفكرية والتاريخية والفنية التي أظهرت القيمة الوجودية للمجتمعات الشرقية ، من خلال العديد من الفنانين التشكيليين الغربيين الذين قاموا بعرض خصائص المجتمعات الشرقية حين بدأ الغرب البحث عن آفاق ربما تكون أكثر نقاء من مجتمعاته الغربية التي يرى أنها تحولت إلى مجتمعات آلية تفقد ترابطها مع الماضي ، هذا الولع بسحر الشرق لم يأت مصادفة وإنما نتاج الإتصال بين العالمين بدءاً بالحروب الصليبية وانتهاءاً بحركات المد الاستعماري وما رافقها من تسجيلات وملاحظات ومدونات خاصة بالمحاربين والرحالة والفارين والمرافقين للحملات العسكرية والتجار شجعت الغرب بجميع تخصصاته الفنية أدبية وتشكيلية وغيرها إلى التطلع إلى الشرق ، والتي أنتجت أعمال فنية كثيرة.

ولدور ووظيفة الفن الكشفية - إلى جانب بقية وظائفه الأخرى- إنعكاساً لطبيعة وشكل المجتمعات التي صورها الفنانون في لوحاتهم التشكيلية ، ليكون مصدر يمكن من خلالهما إستقاء أهم ما يميز طرز وأشكال ملابس السيدات والرجال وطبيعة الخدم و شكل العمارة والأثاث والمناظر الطبيعية والعادات والوظائف الهامة و وسائل الترفيه وغيره من مظاهر المجتمع ، فكان من الشيق مقارنة مجتمعين معاصرين لبعضهما البعض وهما مجتمع الغرب المتمثل في النموذج الفيكتوري على اعتباره القوة العظمى وقتها ومجتمع الشرق المتمثل في لوحات المستشرقين ، وكلاهما لهما سمات مميزة تستحق الدراسة والتوثيق ، بل أن اللوحات الفنية في أحيان كثيرة لعبت دور الكاميرا الفوتوغرافية في التوثيق وفي الرجوع إليها كمصدراً استرشادياً هاماً كاستخدامها في مجالات صناعة السينما وإتخاذ نماذج يحتذى بها في النقل عنها ، وهذا ليس فقط في مجال السينما وإنما في مجالات عدة في العمارة والديكور والموضة وغيره.

مشكلة البحث:
عدم توفر دراسات تعتني بالجانب الخاص بسمات وظواهر المجتمعين ، فمعظم الدراسات التي تناولت لوحات الفترتين كانت قراءات فنية وتشكيلية وتحليلية لسمات وأساليب المدارس الفنية في اللوحات الفيكتورية ولوحات المستشرقين ، دون دراسة

مظاهر المجتمعين وحتى وإن تم التنويه عنها في تلك الدراسات فكانت على سبيل الذكر لا على سبيل المقارنة بين المجتمعين خاصة وأنهم في نفس الحقبة الزمنية.

منهجية البحث:

المنهج التاريخي الوصفي التحليلي المقارن.

أهمية البحث:

تأكيد الربط من خلال اللوحات بين مظهرين من مظاهر مجتمعي الغرب والشرق ذات الحقبة الزمنية المشتركة.

عمل دراسة مقارنة تثري المكتبة الفنية في استخراج سمات ومميزات كل مجتمع مدعومة بتسجيلات الفنانين التشكيليين من خلال لوحاتهم التشكيلية التي ساهمت في إيصال مظاهر تلك الحقبة.

أهداف البحث:

- تسجيل التمييز بين سمات المجتمعين الغربي والشرقي.
- محاولة إستخراج الفروق والإختلافات التي ميزت كل مجتمع من خلال عملية إفراد لعناصر وأبطال لوحات الفنانين (كطبيعة ملابس السيدات والرجال وطبيعة الخدم و شكل العمارة والأثاث والمناظر الطبيعية والعادات والوظائف الهامة و وسائل الترفيه) ، دون التطرق للإسلوب الفني الذي إعتنى به كل فنان في معالجة عمله الفني أو المدرسة الفنية المتبعة في تلك الفترة.

١- الإطارالتاريخي:

١-١ الفترة الفيكتورية:

الفترة الفكتورية هي فترة حكم الملكة فيكتوريا لبريطانيا عام ١٨٣٧م وإستمر حكمها الذي يعتبر الأطول في تاريخ إنجلترا حتى عام ١٩٠١م، شهد العصر الفكتوري تغيّرًا عظيمًا في الإقتصاد والإجتماع والسياسة وتوسعت التجارة والصناعة بسرعة حيث وصلت الإمبراطورية البريطانية إلى أوج عظمتها لتغطي حوالي ربع الكرة الأرضية ، مع تَقدَّم العلمُ والتكنولوجيا كما كبر حجم الطبقة المتوسطة بشكل كبير وأخذ عدد المثقفين يزداد في الخمسينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، بالرغم من رخاء العصر الفكتوري فقد عاش عمال المصانع والمزارع في فقر شديد وهذا ما دعا بنجامين ديزرائيلي Benjamin Disraeli *[١]أشهر رؤساء وزراء هذه الفترة إلى وصف إنجلترا ببلد الأمَّتين، واحدة غنية والثانية فقيرة، كما ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعض النظريات العلمية التي بدت وكأنها تتحدى التعاليم الدينية وأكثر هذه النظريات مثارًا للجدل نظرية النشوء والإرتقاء التي قال بها عالم الأحياء تشارلز داروين Charles Darwin.

وعلى أي حال قسم مايكل سادلير Michael Ernest Sadler *[*] الحقبة الفيكتورية إلى ثلاث فترات: الفيكتورية المبكرة من ١٨٣٧ – ١٨٥٠م وهي الفترة المضطربة اجتماعيًا وسياسيًا ، ومنتصف الفيكتورية من ١٨٥١ – ١٨٧٩م ذات السياسة الهادئة المستقرة والازدهار الكبير، و أواخر العصر الفيكتوري من ١٨٨٠م فصاعدًا وهي ذروة العصر الفيكتوري وقد رأى فيها كثير من الازدهار المتعدد في شتى المجالات.

وبناء على ما سبق تناول فنانو هذه الفترة التباين بين غنى الطبقتين المتوسطة والعليا وحالة الطبقة الفقيرة المُزرية، كما بدأوا في تحليل ضعف الإيمان بالقيم التقليدية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومن أشهر فناني إدوارد بوينتر Edward Poynter، وإدوارد أرميتاج Edward Armitage ، وفريدريك لايتون Frederic Leighton ، وهوبيرت فون

هيركومر Hubert von Herkomer ، وفيليب هاميرتون Philip Hamerton ، جيمس آرتشر James Archer ، جون إيفرت ميليه John Everett Millais ، ريتشارد روثويل Richard Rothwell وغيرهم الكثير.

كان لصعود الطبقة الوسطى خلال تلك الحقبة تأثيراً تكوينياً على شخصية تلك الفترة بمجرد وصول الطبقة الوسطى إلى الصدارة السياسية والمالية ، أصبح تأثيرهم الإجتماعي حاسمًا ، حيث ساعد التصنيع على ظهور طبقة وسطى سريعة النمو كان لزيادة أعدادها تأثيراً كبيراً على الطبقات الإجتماعية نفسها من حيث المعايير الثقافية و أساليب الحياة والقيم والأخلاق.

٢/١ المستشرقين:

إن مفهوم الاستشراق Orientaisme يعني معرفة الشرق ودراسته، و تحمل كلمة الاستشراق معان متعددة ذات خلفيات سياسية وإجتماعية وثقافية وإطلاع على المجتمعات الشرقية وتأثر بنقل تراث وسلوك هذه المجتمعات بهدف الإكتشاف والتثقف أو بهدف الإستعمار أو التشويه في بعض الأحيان.

وعنيت الدراسة بهذا الإتجاه بالأخص وأن الشرق بالنسبة للغرب حكايات وروايات ذات نسج خيالي حالم ، حيث لوحات الفنانين المستشرقين التي تعكس أسراراً و عالم أشبه بعالم ألف ليلة وليلة ، برغم التطور العلمي الكبير للغرب واختراع آلة التصوير التي بدورها نقلت الصورة بأكثر واقعية من الأعمال الفنية المرسومة إلا أنها هي الأخرى كانت تنتقي الزوايا التي تتفق مع التوجه العام لتيار المستشرقين وغاياتهم.

و المستشرقون Orientalists هم الذين يقومون بدراسات إستشراقية من غير الشرقيين ويقدمون هذه الدراسات للمبشرين بنية تحقيق أهداف التبشير أو للدوائر الاستعمارية بغرض الاستعمار ، غير أن هناك من هم ذو نوايا حسنة.

وعرف علم الاستشراق بأنه الوسيلة لدراسة الشرق عن طريق التواصل المتبادل بين الشرق والغرب ، وصاحب هذا العلم هو الذي يكون على دراية جيدة ومعرفة ببعض اللغات المجهولة ويستطيع وصف عادات بعض الشعوب ، وفي تعريفات أخرى للاستشراق تجعل من المستشرق دارس ذو نتائج قيمة في دراساته من خلال ضرورة اتقانه للغات الشرق.

كانت دراسة الشرق قريبة من اتجاه االرومانسية المتبع في تلك الحقبة حيث كان اتجاهاً فنياً جديداً كان يسير متوازياً مع تكون وتطور الاستشراق بوصفه علماً في فرنسا إرتبط مصير أحدهما بالآخر طيلة النصف الأول من القرن التاسع عشر أي طيلة الحقبة الرومانتية الفرنسية مما قاد العديد من الرومانتيين إلى الاتجاه نحو الشرق للبحث عن مثل جمالية رومانسية في مسلمات هذا الشرق الأخلاقية الجمالية وفى الصورة كما في الفكرة معاً.

فكما صور الشرق على نفس المذهب الرومانتي الأوروبي بكل إتجاهاته ، فالرومانتية تبنت الموضوعات والصورالفنية الشرقية وبلورتها وطورتها كما منحتها طابعها ومعاييرها الجمالية الخاصة بها و المميزة لها. ومع هذه المرحلة الفنية بالذات تم الانتقال من مفهوم (الغرائبية)* في تصوير الشرق إلى مفهوم (الاستشراق) أي كل ما يتضمنه علم الشرق وفنونه في الفن الأوربي.

إرتبطت ظاهرة الاستشراق الفني بجذور الاستشراق السياسي والاقتصادي الذي يشكل المنطلق الأساسي للعلاقة بين الشرق والغرب تاريخياً وهناك خصوصية الفكر الرومانسي بوصفه مذهبا شمولي المظهر في شتى حقول المعرفة كالفلسفة و التاريخ والفن والطب والعلوم والسياسة والاقتصاد و الأدب وغيرها الذي تميز بالسعي في إزالة الحدود لهذه المعارف من جهة وبين الأنواع والأجناس في كل حقل معرفي على حدة. فهو منظومة فكرية منفتحة على بعضها وإنعكست هذه الخصوصية على علاقة الرومانتية بالشرق والموضوع الشرقي.

وفي نهاية القرن الثامن عشر أثر ظهور الدراسات الشاملة والمتنوعة التي تناولت الحضارات الصينية والهندية والفارسية والإسلامية في شتى مراحل تطورها التاريخي القديمة و المتوسطة و الحديثة والتي إنبثق عنها تبدل ملموس في التصورات حول مفهوم ثقافة الشرق وثقافة الغرب في أوروبا ككل مما أدى في نهاية المطاف إلى ظهور مرحلة جديدة من تطور الاستشراق إتسمت بالشمولية في المظهر بخلاف المراحل السابقة في شتى الإتجاهات الرومانتية. بينما إتخذ الاستشراق طابع الظاهرة الحضارية العامة المميزة للعصر. وبما أنه قدر للرومانتية أن تتطور في العديد من الدول الأوروبية في آن واحد معا فقد عكس الاستشراق الرومانسي الصبغة القومية والمحلية التي تمخضت عنها الظروف والعوامل التاريخية والاجتماعية والتقاليد الثقافية في كل بلد أوروبي على حدة. من هنا يلاحظ أن الاستشراق الرومانتي تميز في الإتجاهات الفنية الأوروبية وفقا لتمايز منطق تطور بناها الفنية.

فقد زار الشرق في النصف الأول من القرن ١٩م حوالي ١٥٠فناناً فرنسياً لم يكن إسهامهم في تطوير الاستشراق متساوياً كما أن الاستشراق لم يحتل موقعاً متوازياً في إبداع كل منهم. بحيث شكل الاستشراق تياراً أساسياً داخل الحركة الفنية التشكيلية الفرنسية إستقطب غالبية فنانيها كما أنه أدى إلى إكساب الاستشراق الرومانتي الفرنسي سمته الشرقية الإسلامية خلافاً للمدارس الرومانتية الأوروبية الباقية.

كان الشرق الأوسط الموصوف في اللوحات الاستشراقية في القرن التاسع عشر حقيقيًا وغير حقيقي في نفس الوقت عرف المشاهدون أن المكان موجود في مكان ما ومع ذلك ، كان كل عنصر فيه خياليًا ، كما لو كان ينتمي إلى عالم مختلف تمامًا.

٢- مقارنة بين ظواهر المجتمعين من خلال اللوحات التشكيلية:

٢-١ ملابس السيدات:

ملابس السيدات في المجتمع الغربي:

(شكل ١-٦) الملابس في القرن التاسع عشر كانت ذات تفاصيل غنية حيث ركز الفنانون الذين رسموا صور النساء على التفاصيل المتعلقة بالملابس والتي تعبر عن الموضة آنذاك. فيمكن التعرف بسهولة على أنواع القماش في القرن التاسع عشر من هذه الأعمال، كما يوضح التحليل الدقيق لهذه الأعمال خلال تلك الحقبة شعبية الأثواب الطويلة المنسدلة ذات طبقات متعددة فتميزت الموضة النسائية بخصر حاد وكتف مائل وتنانير تشبه الجرس و في وقت لاحق زاد حجم هذه التنانير طوال نهاية التسعينيات وإستخدام الألوان الغنية في طبقات المجتمع الغنية وكما رسمت التفاصيل الدقيقة على القماش بشكل مثير للدهشة من قبل هؤلاء الفنانين بطريقة شديدة الواقعية.

جعل الفنان إستخدام الساتان والأشرطة اللامعة الفساتين تبدو ديناميكية من البيئة المحيطة، درس الفنانون التفاصيل بعناية بشكل مثير للدهشة بمهارة كبيرة تظهر الفساتين بوضوح مكانة المرأة في المجتمع حيث إرتدت النساء من أثرياء العائلات الملكية الأثواب المطرزة باللؤلؤ والزهور.

حتى المرأة العادية ذات الإمكانيات المحدودة كانت على دراية بالاتجاهات العصرية بسبب صناعة المجلات النسائية في أمريكا وقد كان كتاب Godey’s Lady and Peterson's Magazine هو الأفضل ، ولكن يمكن العثور على مجلات فرنسية وإنجليزية أيضًا حيث سمحت لوحات الأزياء المنشورة في هذه الدوريات لجميع النساء بممارسة إستخدام الموضات المقترحة (11, P 330-331).

كان يُنظر للملابس على أنها تعبير عن مكانة المرأة في المجتمع وبالتالي إختلفت تبعًا لطبقتهن الاجتماعية، نساء الطبقة العليا اللاتي لم يكنّ بحاجة للعمل غالبًا ما ارتدين مشدات ضيقة من الدانتيل فوق صدرية مع تنورة مطرزة بزخارف كثيرة تحتها

بيتيكوت (تنورة داخلية) ، فيما عرضت نساء الطبقة الوسطى أسلوب أزياء مشابه إلا أن الزخارف كانت أبسط ، طبقات الملابس جعلتها ثقيلة للغاية، كما أن المشدات كانت ضيقة وتقيد الحركة وبالرغم من أن الملابس لم تكن مريحة إلا أن خامة القماش والطبقات المتعددة كانت تُرتدى كرمزٍ للثراء (2, P 45).

ويعتبر مشد الخصر في الغرب في العصر الفيكتوري يمر بعصره الذهبي حيث بلغ استخدامه وتطويره ذروته وكذلك الجدل حول إيجابيات وسلبيات هذا العنصر المحدد من الملابس لصحة المرأة (12, 1996).

(شكل١) سيدة - للفنان جيمس آرتشر James Archer

(شكل٢) جدتي العظيمة - للفنان جيمس آرتشر James Archer - ١٨٦٥

(شكل٣) السيدة بيستشوفشيم - للفنان جون إيفرت ميليه John Everett Millais - ١٨٧٣

(شكل٤) ماري ولستونكرافت شيلي -للفنان ريتشارد روثويل Richard Rothwell - ١٨٤٠–١٨٤٣

(شكل٥) صورة لسيدة ، للفنان جون إيفرت ميليه John Everett Millais - ١٨٨٧

(شكل٦) سيرينايد ، الفنان جيمس آرتشر James Archer

ملابس السيدات في المجتمع الشرقي:

(شكل ٧-١٢) في الوقت الذي ظهر فيه اللباس الغربي بتلك الصورة السابق وصفها والتي تميزت بالثراء والتنوع ، ظهر الملبس النسائي الشرقي بنفس الثراء والغنى، فبقدر ما تعد إنجلترا مركزًا للثقافة الغربية ولا تزال منبعاً لاتجاهات الموضة

ومركزًا لتأهيل المصممين ، فإن مصر أيضًا هي محور الحياة الثقافية والسياسية على غرار إنجلترا في التاريخ والتأثير الثقافي في العالم العربي. وبالمثل بينما يتشبث البريطانيون بتاريخهم الملكي الاستعماري المجيد ، فإن المصريين مرتبطون بماضيهم ، يمكن وضع كلتا الدولتين جنبًا إلى جنب على الأقل كمجموعة لتحليل مسارات اللباس الأنثوي في المجتمعين(6, 2020).

تتقاسم كل من الأشياء التي ترتديها المرأة في المجتمعين، تقليديًا ومعياريًا مع بعضها البعض ، على الرغم من أنه في نظرية الموضة القيم هي التي تشكل التغييرات الإيقاعية في أنظمة الموضة وبالتالي فإن الثقافات هي التي تنتج تلك الصور والأنماط و لابد وأن نعي أنه في كثير من الأحيان ظهر الملبس النسائي في لوحات الاستشراق ذو صفات جوهرية للوعي والفكر والتعبير الذي يعكس التقاليد الأكاديمية والفكرية للغرب تجاه الشرق ، وكأنه معالجة تشكيلية شرقية موجودة في الثوب الغربي ، إذ جاءت الكثير من الآراء تشير إلى أن المظهر الشرقي في اللوحات يعكس إدراك مبالغ فيه للجمال الشرقي من قبل الغرب حيث التقليد الجمالي الغربي تجاه الشرق (8, 2011).

ابتكر المصممون الغربيون الملابس الشرقية واستغلوها من خلال استهلاك المظهر الشرقي بدمج النظرة الغربية في الثقافة الشرقية، لم يُسمح للرسامين الذكور بدخول الحريم ، وبالتالي كانت لوحات الحريم في الغالب نتيجة لخيال الفنانين لهذا السبب فإن العديد من لوحات الحريم لها صفات متلصصة تقريبًا.

حتى أنه سمي بالذوق الهجين ذو السمة الأكثر تمييزًا للمظهر الشرقي النابع من الخيال - أي الإدراك العشوائي للشرق كمكان غريب وخيالي تجعل من الدول الشرقية نظرة خيالية في موجودة فقط في العقل - لذلك ، يمكن دمج الثقافات بحرية، إذ لا يتم بالضرورة تقدير هوية كل ثقافة شرقية بشكل فردي، بل أصبح ذوقًا هجينًا تتشابك مكوناته الغريبة المختلفة ، بما في ذلك الطباعة الإندونيسية ، وظهور الفراء المنغولي ، وأغطية الرأس النيبالية (8, P 7-8). وتحتوي على سمات لتركيا والصين واليابان ودول آسيوية أخرى (10, P 25).

وإذا ما حللنا الأزياء الشرقية من خلال لوحات المستشرقين تميزت بالمنسوجات الحريرية الفاخرة والمطرزات والأقمشة المنقوشة برسوم و زخارف شرقية كما كانت رباطات الخصر العريضة أهم ما ميز الزي الشرقي كما كانت أغطية الرأس من السمات التي ركز عليها المصورين لما لها من أهمية في الثقافة الشرقية ، فقد كانت تنساب أحياناً بأطوال تتماشى وتتوازى مع أطوال الأكمام والتي كانت تأخذ شكل ضيق من أعلى لتتسع وتطول كلما اقتربت للكفوف.

(شكل٧) نساء من الجزائر - للفنان يوجين ديلاكروا Eugène Delacroix - ١٨٣٤

(شكل٨) سيدة أرمينية ، رسالة الحب - للفنان جون فردريك لويس John Frederick Lewis - ١٨٥٥

(شكل٩) حاملة القهوة - جون فردريك لويس John Frederick Lewis - ١٨٥٧

(شكل١٠) فتاه تداعب الحَمام - للفنان جون فريدريك لويس John Frederick Lewis - ١٨٦٤

(شكل١١) ثرثرة– للفنان جون فريدريك لويس John Frederick Lewis - ١٨٧٣

(شكل١٢) المفضلة – للفنان رودولف إرنست Rudolf Ernst

٢-٢ ملابس الرجال:

ملابس الرجال في المجتمع الغربي:

(شكل ١٣-١٥) أصبحت ملابس الرجال في أربعينيات القرن التاسع عشر أقل مبالغة مقارنة بالعقد السابق ، فقد قلة قيمتها حيث نشاهد تلاشي اللمعان واللون. ظهر شكل المعطف الذي تميز بشكل دائري يطول تدريجياً من الخلف - يبدأ من فوق الخصر قصير من الأمام وطويل من الخلف - وكذلك بدأ ظهور نوع جديد من المعاطف في أربعينيات القرن التاسع عشر للمناسبات الترفيهية بدون خط محيط الخصر و يتميز بأكمام عالية وضيقة أشبه بالرداء الواسع (11, P 342-343)، كان العنصر البصري الأكثر إنتشاراً في اللوحات في ملابس الرجال هو الصدرية Vest عادةً ما تتميز بفتحة كبيرة على شكل حرف V وصُنعت في مجموعة متنوعة من الحرير المزخرف الغني والملون، وكانت القمصان في الغالب بيضاء ذات ياقات واقفة مقلوبة مع رباط العنق السائد وهو عبارة عن ربطة عنق حريرية داكنة أو ربطة عنق مربوطة بفيونكة مسطحة ، كان النوع الشائع عبارة عن ربطة عنق حريرية مجهزة برباط يمكن ربطه بسهولة في الخلف (7, P 198) أما السراويل فكانت ضيقة تميزت بشكل طويل أملس من خلال رباط يمر تحت القدم يعمل على اختفاء مشط القدم . في العادة إختلفت ألوان البنطلونات مع المعطف ولكنها تُصنع بألوان أفتح ،ومع ذلك كان من الممكن ظهور البدلة مع سترة وسراويل مطابقة في اللون (9, P 168-169).

(شكل١٣) أنتوني كوبر - للفنان فرانسيس جرانيت Francis Grant - ١٨٥٠

(شكل١٤) الجراح جون بينتر فنسنت - للفنان إيدن أبتون إديس Eden Upton Eddis - ١٨٥٠

(شكل١٥) وتران لقوسها - للفنان جون بيتي John Pettie - ١٨٨٧

ملابس الرجال في المجتمع الشرقي:

(شكل ١٦-١٨) بقدر ما كان الترف والثراء سمة أساسية من سمات ملابس النساء في لوحات المستشرقين من أنواع أقمشة ثمينة وتطريزات متميزة ، بقدر ما كانت سمات ملابس الرجال لا توازي هذا الترف ، بل تمتعت بعناصر معظمها ثابتة لا تتأثر بالزي الغربي كما تأثر التعبير عن الملبس النسائي بالغرب ، لذا ظهرت ملابس الرجال ذات سمات عرقية بحتة تعتمد على الجلابيب الطويلة والسراويل المبالغ في اتساعها والتي تضيق من عند بداية القدم ،والصدريات وأحزمة الوسط العريضة ذات النقوش على جلابيب سادة ، كما تميز الملبس بوجود العباءات الفضفاضة ولم يخل ملبس من وجود أغطية الرأس العربية كالعمامة بأشكالها والغترة الأشبه بالغطاء البدوي.

(شكل١٦) العربي - للفنان جون فريدريك لويس John Frederick Lewis

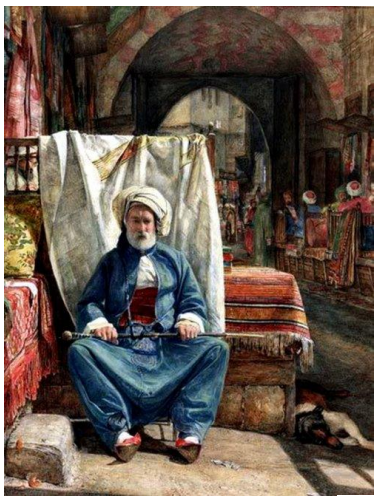

(شكل١٧) بائع السجاد - للفنان جون فريدريك لويس John Frederick Lewis - ١٨٦٠

(شكل١٨) المسدس - للفنان رودولف إرنست Rudolf Ernst

٢-٣ الخدم:

الخدم في المجتمع الغربي:

(شكل ١٩،٢٠) كانت خادمة السيدة بمثابة مدبرة المنزل وكانت تعمل تحت إشراف السيدة مباشرة، كانت تعد وتحضر صينية بها الشاي والخبز المحمص وتضع الملابس اللازمة للصباح و كانت تساعدها في ارتداء ملابسها و تصفيف شعرها. لذى كانت يجب أن تكون الخادمة ماهرة في أحدث قصات الشعر واللباس، كما تشمل أدوارها أيضًا القيام بمهام النظافة المطلوبة ، والقدرة على إصلاح أو تغيير الملابس حسب الحاجة، و بينما كانت المخدومة تتناول الإفطار كانت تعيد ترتيب الغرفة وتجهز أي عناصر مطلوبة لذلك اليوم. وتشمل واجباتها أيضًا تنظيف الملابس والحفاظ عليها مثل الفراء والدانتيل ومصنع القبعات ومواكبة أحدث اتجاهات الموضة. تميز مظهر الخادمات في اللوحات الفيكتورية بملابس أكثر إلتزاماً وحشمة من ملابس سيداتهن اللاتي يخدمن لأجلهن ، وارتداء أغطية رؤوس في الغالب بيضاء ذات أحرف من الدانتيل، وتنوع وجود الخدم ما بين بيض وسود ، مع ملاحظة محاولة اخفاء معظم اللوحات التي وجد بها الخدم من الزنوج والسود كإخفاء بعض الحقائق في تلك الفترة وهي طريقة ممنهجة ليست في الفنون البصرية فحسب بل أنها اتبعت في بعض الأحيان في تناولات عدة في السينما الغربية.

(شكل١٩) التزين - للفنان وليام باول فريث
١٨٧٠ - William Powell Frith

(شكل٢٠) التزين - للفنان وليام باول فريث
١٨٧٠ - William Powell Frith

الخدم في المجتمع الشرقي:

(شكل ٢١-٢٥) في حين تم اخفاء فئة السود في خدم الغرب تم اظهارهم بكثرة في الشرق تكاد لا تخلو لوحة بها عددٍ كبيرٍ من الأشخاص أو تجمعات إلا ووجدوا فيها، أُنتشروا في مجالس النساء وفي الحمامات ولازموا المخدوم وحملوا الأمتعة و قدموا الشراب والطعام على أواني وصواني ، وتميزن النساء منهم بأرتداء ملابس ذات سمات إفريقية وحلي وأقراط غجرية.

(شكل٢١) لوحتين (داخلي) و (الخارج) للفنان جين ليون جيروم Jean-Léon Gérôme - ١٨٤٠

(شكل٢٢) خادم الحمام - للفنان جون فريدريك لويس John Frederick Lewis - ١٨٥٤

(شكل٢٤) الرقية الشرعية - جون فردريك لويس John Frederick Lewis - ١٨٧٢

(شكل٢٥) الحمام - للفنان جين ليون جيروم Jean-Léon Gérôme - ١٨٨٠-١٨٨٥

٢-٤ المناظر الطبيعية والعمارة والأثاث:

المناظر الطبيعية والعمارة والأثاث في المجتمع الغربي:

(شكل ٢٦-٣٢) لا تقتصر العمارة الفيكتورية على نمطٍ واحدٍ محدد بل أُعتمد على العديد من الأساليب المختلفة التي ظهرت خلال فترة حكم فيكتوريا. نظرًا لعدم وجود أسلوب معياري ، قام المهندسون المعماريون والبناؤون بإنشاء المباني التي تناسب رغبات زبائنهم، ومع ذلك دفعت الثورة الصناعية إلى تغييرات مجتمعية أثرت على تصميم المباني الفيكتورية ، بالإضافة إلى ذلك سمح توسيع خطوط السكك الحديدية بشحن العناصر الجاهزة مثل زجاج النوافذ والبلاط والجرانيت بسهولة أكبر والحصول عليها، فظهرت عدة أنماط مختلفة خلال هذه الفترة كأحياء القوطية والرومانتية ، ويمكن وصف معظم العمارة الفيكتورية بأنها ذات تصميمات غير متماثلة تميل المنازل المصممة إلى أن تكون شبيهة بالقصور ومن القرون الوسطى إلى حد ما مع زخرفة مبالغ فيها وتعكس طراز الكلاسيكية العائدة (الكلاسيكية الجديدة) تأثيرات العمارة اليونانية والرومانية القديمة.

أما من الداخل فكانت في الأغلب ذات سلالم داخلية كبيرة ونوافذ وشرفات ومدافئ في كل غرفة. شهدت المناطق الحضرية بناء ما يمكن أن نطلق عليه منازل التاون هاوس في الولايات المتحدة (صفوف من المنازل مبنية معًا).

جاءت الخصائص التي يمكن تحديدها لتحديد منزل الطبقة المتوسطة كمساحات سكنية مجاورة لموقع العمل أو مدمجة فيه ، وتشغل فعليًا نفس المساحة الجغرافية ، كان الفرق بين الحياة الخاصة والتجارية بسيط يتميز بتحديد غير رسمي للوظيفة، المنزل عبارة عن هيكل قائم بذاته يضم أسرة ممتدة وفقًا للحاجة والظروف لتشمل علاقات الدم.

(شكل٢٦) عاصفة قادمة فوق ساسكس – للفنان جون لينيل John Linnell - ١٨٥٤

(شكل٢٧) شارع بريدج ، تشيستر- للفنانة لويز راينر

Louise Rayner

(شكل٢٨) شارع من مدينة بوكسفورد ، إنجلترا- للفنانة لويز راينر

Louise Rayner

(شكل٢٩) تغيير المنازل (الزواج وانتقال البيت) - للفنان جورج إلجار هيكسGeorge Elgar Hicks - ١٨٦٢

(شكل٣٠) عائلة روبرت جوردون في غرفة الطعام - للفنان سيمور جوزيف جاي Seymour Joseph Guy- ١٨٦٦

(شكل٣١) أمسية في المنزل - للفنان إدوارد جون بوينتر Edward John Poynter - ١٨٧٠

(شكل٣٢) غرفة رسم دانتي غابرييل روسيتي - للفنان هنري تريفري دن Henry Treffry Dunn -١٨٨٢

المناظر الطبيعية والعمارة والأثاث في المجتمع الشرقي:

(شكل ٣٣-٣٨) أسبغ المستشرقون على لوحاتهم مشاعر الاشتياق للمكان، فقد جعلوا المشاهد يشاركهم هذا الشعور بالحنين إلى سحر المكان كلما أشاح بنظره عن اللوحة، كما وصف أحد الكتاب الفرنسيين لوحات أحد المستشرقين: [في لوحاته أحسست بأني قد وجدت وطني الحقيقي، و حين أشحت بوجهي عن هذه اللوحات أنتابني حنين شديد إلى الشرق. ففي الطبيعة قد شكلت أشجار النخيل الباسقة و الظلال الوارفة و مياه النيل المتألقة و الرمال الذهبية و الإبل الباسمة و ألوان السماء الصافية و الشمس المتوهجة مادة أحلامهم المنشودة و حياتهم المثالية (علي ١٩٩٧).

وقد ألهمت القاهرة الإسلامية وطقوس الحياة الشعبية, فقد برع الفنانون المستشرقون التي تميزت لوحاتهم بالدقة وثراء التفاصيل وروعة الألوان, فظهرت العمارة الدينية بكثرة وظهرت تفاصيلها المميزة كالعقود و القبب و المآذن العالية و القناطر و الحارات الضيقة والبوابات والبلاطات المزججة وخشب الخرط وغيره ، أما داخليا فكانت العمارة مميزة بالبيوت ذات الصحن المفتوح الذي يتوسطه في الغالب أحواض أوبحيرات أو نافورات. كما تبدو البيوت مبنية من الخشب و اللِبن

أما الديكور فقد تفنن المستشرقون في إبراز المنمنمات و الزخارف الإسلامية التي تعتمد الخطوط و الأشكال الهندسية و النباتية و الكتابات بالخطوط العربية التي تضفي غموضاً ساحراً على اللوحة كالطلاسم لعدم فهم المكتوب على جمال انحناءات الأحرف.

(شكل٣٣) على ضفاف النيل – للفنان بروسبير ماريلات
Prosper Marilhat - ١٨٣٣–١٨٤٠

(شكل٣٤) منظر للقاهره - للفنان بروسبير ماريلات
Prosper Marilhat

(شكل٣٥) منظر من القاهرة للفنان جون فارلي الثاني
John Varley II - ١٨٨٠

(شكل٣٦) مدخل شرقي عند باب الزعيم المسلم – للفنان رافائيل فون أمبروس Rafael von Ambros - ١٨٨٧

(شكل٣٧) الاستقبال ، للفنان جون فريدريك لويس John
١٨٧٣ - Frederick Lewis

(شكل٣٨) وجبة منتصف النهار - للفنان جون فردريك لويس John
١٨٧٥ - Frederick Lewis

٢-٥ العادات والوظائف الهامة و وسائل الترفيه:

العادات والوظائف الهامة و وسائل الترفيه في المجتمع الغربي:

(شكل ٣٩-٤٢) ظهرت عادات الترف والترفيه في اللوحات الفيكتورية من خلال جلسات وتجمعات النساء وهن يلعبن الأوراق أو يتجمعن في جلسات تلقي دروس الموسيقى أو وهن يتعلمن الخياطة والتطريز أو جلسات الاسترخاء في تناول الشاي أو جلسات القراءة والاطلاع أو خلال تجمعات التعارف والحفلات ذات الرقصات المشتركة بين النساء والرجال ، كما شاركت النساء في تعلم بعض المهارات الصعبة كالرماية والفروسية ، كما كان الاهتمام كبير بحضور المعارض الفنية التي يعرض من خلالها لوحات الفنانين ،

(شكل٣٩) القلوب هي الرابحة - للفنان جون إيفرت ميليه
١٨٧٢ - John Everett Millais

(شكل٤٠) الرماة الإنجليز في القرن ١٩ - للفنان ويليام باول فريث
١٨٧٢ - William Powell Frith

(شكل٤١) الصيف - لفنان جون أتكينسون جريمشو John
١٨٧٥ - Atkinso Grimshaw

(شكل٤٢) منظر خاص في الأكاديمية الملكية - للفنان وليام باول فريث
١٨٨١- William Powell Frith

العدات والوظائف الهامة و وسائل الترفيه في المجتمع الشرقي:

(شكل ٤٣-٤٨) في عادات الشرق ظهرت في لوحات المستشرقين عادة سوق النخاسة كما ظهرت كذلك عادات الترفيه بالأخص في جلسات النساء في قاعات الحرملك وهن يستلقين ويتلقين مختلف الخدمات من جواريهن والخدم ، كما ظهرت بعض وظائف غريبة وهي راوية القصص وكأنها بديل وسائل الاعلام الحديثة والتي يلتفف حولها النساء ليقضين أوقاتهن، كما اعتنين ايضا بالموسيقى والرقص والطرب ، وعن وظائف وحرف العرب اهتم المستشرقين برسمها كالفخارين و تجار الأقمشة والسجاجيد والتجار بصفة عامة ومختلف الوظائف.

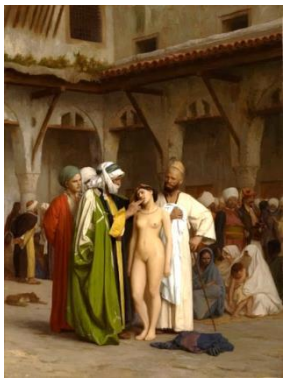

(شكل٤٣) سوق العبيد - للفنان جان ليون جيروم-Jean Léon Gérôme - ١٨٦٦

(شكل٤٤) قارئه نوبيه للحكايات والقصص - للفنان فريدريك ارثر بريدجمان Frederick Arthur Bridgman - ١٨٧٥

(شكل٤٥) الحرملك - للفنان جون فريدريك لويس John Frederick Lewis - ١٨٧٦

(شكل٤٦) درس الموسيقى - للفنان فريدريك لايتون Frederic Leighton - ١٨٧٧

(شكل٤٧) ورشة الفخار في طنجة - للفنان جان ديسكارت Jean Discart - ١٨٨٤

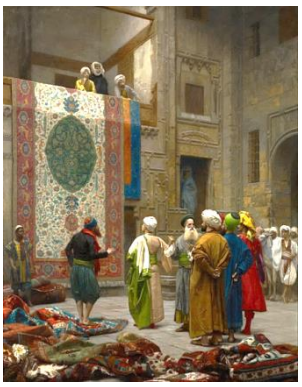

(شكل٤٨) تاجر السجاد - للفنان جان ليون جيروم - Jean-Léon Gérôme ١٨٨٧

النتائج:

- من خلال دراسة لوحات المستشرقين واللوحات الفيكتورية فيما قبل اختراع الكاميرات تُعد مصدر من المصادر التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها في توثيق شكل المجتمعات.
- من نتائج الاعتماد على دور اللوحة في التوثيق، ونظرًا لأن الشرق الأوسط قد تم تحديده منذ فترة طويلة على أنه أرض الكتب المقدسة، فقد استخدم الرسامون المناظر الطبيعية التي رأوها في رحلاتهم ووثقوها في لوحاتهم كإعدادات لرسومات لمشاهد دينية.

- لوحات القرن التاسع عشر – سواء الفيكتورية أو لوحات المستشرقين- تميزت بالابتعاد عن رسومات ذات الطابع الديني الصريح واعتمدت بشكل أساسي على العادات والتقاليد المجتمعية بمظاهرها المختلفة والمتنوعة.
- المقارنة بين مجتمعي الغرب والشرق مقارنة متكافأة تماماً نظرا لأهمية ومركزية كل منهما من حيث الأهمية التاريخية ، ومن حيث الأساليب الفنية المتبعة في كلٍ من المدرستين الفيكتورية والاستشراق، وهي الرومانتية المتبعة في تلك الفترة.

التوصيات:

يوصي الباحث بمزيد من الدراسات التي تعتني بكل مظهر اجتماعي على حدى مثل مظهر الملبس فقط أو العمارة فقط أو العادات والتقاليد فقط أو غيره من المظاهر الأخرى.

يوصي الباحث بتوثيق شامل ومتخصص للوحات هاتين الفترتين لما لحق بهم من حركة اقتناء وبيع مما جعل الكثير منها مستنسخات و التي تتداخل مع اللوحات الأصلية.

المراجع :

1. علي، عرفة عبده. (١٩٩٧). الشرق بالفرشاة الأوربية (العدد ٤٥٨).مجلة العربي (المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب).

eulay, earafat eabduhu. (1997). alsharq bialfurshat al'uwrubiya (aleadad 458).mjalat alearabii (almajlis alwatanii lilthaqafat walfunun wal'adba).

2. Audin, H. (2015). Making Victorian Costumes for Women. Publisher : the Crowood Press.
3. Arnold, J. (2005). Patterns of Fashion 1: Englishwomen's Dresses and Their Construction C. 1660-1860, Publisher: The School of Historical Dress.
4. Arnold, J.(1977). Patterns of Fashion 2: Englishwomen’s Dresses and Their Construction c. 1860-1940, Publisher: The School of Historical Dress.
5. Arnold, J., Tiramani, J., Costigliolo, L., Passot, S., Lucas, A., and Pietsch, J. Patterns of Fashion 5: The content, cut, construction and context of bodies, stays, hoops and rumps c.1595-1795, Publisher: The School of Historical Dress.
6. Jardim, M. (2020). The Corset and the Hijab. Absence and presence in the 19th and 20th-century Fashion System, Epsom, University for the Creative ArtsSão Paulo, PUC, Centro de Pesquisas Sociossemióticas.
7. Johnston, L., Kite, M., Persson, H., Davis, R., and Davis, L. (2005). Nineteenth-century fashion in detail, London, Publisher: V & A, New York.
8. Kwon, YJ. And Min-Ja Kim. (2011). Orientalism in fashion, Paideusis - Journal for Interdisciplinary and Cross-Cultural Studies: Volume 5.
9. Laver, J. (2002). Costume and fashion: a concise history, Thames and Hudson, London, 5th Ed.
10. Martin, R., and Koda, H. (1994), Orientalism: Visions of the East in Western Dress, Metropolitan Museum of Art, New York.
11. Phyllis, G. Tortora. & Eubank, K. (2010). Survey of Historic Costume: A History of Western Dress, 5th Ed, Publisher : Fairchild Books, New York.
12. Steele, V. (1996) Fetish: fashion, sex, and power, Oxford University Press, New York.

13. Worth, R. (2018). Clothing and landscape in Victorian England: working-class dress and rural life, Publisher : I.B. Tauris.

---

* **بينجامين دزرائيلي Benjamin Disraeli** سياسي بريطاني ٢١ ديسمبر ١٨٠٤-١٩ أبريل ١٨٨١ وتولى رئاسة الوزارة في بريطانيا مرتين.

١

** **مايكل ارنست سادلر Michael Ernest Sadler** كان مؤرخ من المملكه المتحده لبريطانيا العظمى و ايرلاندا و المملكه المتحده.

* **الغرائبية:** هي نظرة الغرب إلى الشرق الغير حيادية واعتبار بعض الصور منها خيالية ، أي ترجمة بعض المشاهد بنظرة مبالغ فيها كإحاءات مخالفة للطبيعة الشرقية مع تحميلها عادات غربية.